وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإسلام سيكون روحانيا عاليا أو أنه لن يكون!

هاشم صالح

الشرق الأوسط: الجمعة 18 ذو القعدة 1430 هـ 6 نوفمبر 2009 العدد 11301

تحت هذا العنوان أصدر المفكر الفرنسي المسلم إريك يونس جوفروا كتابا يستحق الاهتمام. وقد فاجأني العنوان عندما وقع بصري عليه لأول مرة وأنا أتصفح الكتب الجديدة في المكتبة القريبة من بيتي شرق باريس. قلت هذا كتاب يستحق أن يُقرأ فاشتريته فورا عساني أجد فيه إضاءات على واقعنا المظلم اليوم. من المعلوم أن الأطباء النطاسيين انكبّوا كلهم على مشكلة الإسلام لتشخيصها وعلاجها بعد أن استفحلت قضية الأصولية والتطرف منذ التفجيرات الكبرى وحتى اليوم. فالبعض قال بالحل العقلاني والتنويري والاستعانة بالفارابي وابن سينا وابن رشد وبقية فلاسفة العرب والمسلمين هذا بالإضافة إلى فلاسفة التنوير الأوروبي. وهذا هو موقف الليبراليين العرب عموما. فهذه هي الطريقة الوحيدة لمصالحة الإسلام مع الحداثة.

أما إريك جوفروا فيرى أن هناك حلا آخر يكمن في استلهام مشروع كبار متصوفة الإسلام وتنشيط الاجتهاد الروحاني من جديد وليس فقط الاجتهاد العقلاني. لم لا؟ للوهلة الأولى فاجأتني أطروحته ولم أستوعبها تماما. ثم بعد أن فكرت فيها مليا وجدت أنها لا تتعارض مع الأطروحة العقلانية التنويرية وإنما تكملها. كلتاهما تسعيان لإخراجنا من المأزق وإن عن طريقين مختلفين. وهذا ما قلته له بعد أن التقينا على فنجان قهوة في باريس مؤخرا. وبالتالي فلا مبرر لحصول أي تناقض بين الحل العقلاني لمشكلة الأصولية والحل الروحاني العميق. والدليل على ذلك هو أن إخواننا الأصوليين المتحجرين عقليا يقفون في وجه كلا الحلين ويكفّرون ليس فقط ابن رشد وإنما أيضا ابن عربي. لإخراج الإسلام إذن من محنته أو أزمته الكبرى الحالية مع نفسه ومع العالم الخارجي نحن بحاجة إلى مساعدة كبير العقلانيين العرب وكبير الروحانيين في آن معا. بمعنى آخر فإننا سنكافح بعض التراث ببعضه الآخر. الجانب المتحجر أو المتكلس منه سنواجهه بالجانب الديناميكي المضيء والمستضيء. سنتداوى منه به. وهكذا لا يعودون يتهموننا في كل مرة بالغزو الفكري أو بالانبهار بالغرب. فالعلاج وجدناه في الداخل ولم نعد نستورده من الخارج. ماذا تريدون منا أكثر من ذلك؟ هذي بضاعتنا رُدّت إلينا.

الشيء الذي يفاجئك في كتاب أستاذ التصوف الإسلامي في جامعة ستراسبورغ هو قوله بحصول ظاهرة مقلقة بعد الدخول في عصر الانحطاط والتحجر والتكلس. هذا الشيء هو: انعكاس القيم في الإسلام. فبعد أن كانت إيجابية، ديناميكية، خلاّقة للحضارات، أصبحت سلبية، تواكلية، مضادة للنزعة الإنسانية والحضارية. لقد حصل انعكاس كامل للقيم الإسلامية الأولية التي صنعت مجدنا الحضاري. فالفقه مثلا بعد أن كان علما ديناميكيا وإبداعيا بامتياز توقف وتكلس وتحول إلى قوالب شكلانية فارغة أو مفرغة من كل روح. لقد تحول إلى قوانين معيارية قسرية طغت على حياتنا وشلت طاقاتنا الإبداعية وشغلتنا بالتوافه والشكليات. والمرأة التي كانت محترمة جدا في عهد النبي المؤسس أصبحت محتقرة، مشبوهة، مغطاة من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها. والحب الذي كان مسموحا به في صدر الإسلام أصبح ممنوعا ومحرما. والقرآن الكريم الذي يقدم تصورا رائعا عن الإنسان باعتباره حرا مسؤولا ويرفعه إلى أعلى مقام حل محله تصور تشاؤمي يقول بالتواكل والاستسلام للمكتوب والمقدور. وهكذا غرقت مجتمعاتنا في التخلف والتقهقر والجهل بسبب هذه العقلية التواكلية الاستسلامية المضادة لروح القرآن وجوهر الإسلام الأولي الذي صنع المعجزات.

ويضيف الأستاذ جوفروا قائلا بأن الإسلام الأولي، أي إسلام عصور المجد والازدهار، كان كوني النزعة أو منفتحا على الكونية والعالمية ويستوعب كل الثقافات والحضارات ويعجنها عجنا ويصهرها صهرا لكي يأخذ عصارتها وأفضل ما فيها. فإذا به يتقلص ويتقوقع على نفسه وينحصر بالعرقية الضيقة والكليشيهات المتحنطة بعد الدخول في عصر الانحطاط. والإسلام الأولي كان يسمح بتعددية الآراء والأفكار والمعتقدات فإذا به اليوم يكره أي اختلاف ولو صغيرا في الرأي. وبعد أن كان الإسلام دين الحرية أصبح دين العبودية. بعد أن كان دين التسامح والاعتراف بكل الأديان التي سبقته أصبح دين التطرف وتكفير كل الأديان! وقس على ذلك.. فالقائمة طويلة. والآن ما العمل؟ ما الحل بعد أن شخصنا المرض العضال؟ يرى البروفسور جوفروا أنه ينبغي علينا أن نخرج من القراءة الحرفية الجامدة للقرآن الكريم والفقه وكل التراث الإسلامي. وينبغي علينا الخروج من تلك القائمة الطويلة من الأوامر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والنواهي، أو المحظورات والممنوعات، التي تشلنا شللا أو تخنقنا خنقا. فنحن نتوهم أنها جوهر الدين في حين أنها قشوره السطحية فقط. ذلك أن جوهر الدين روحاني وأخلاقي وإنساني بالدرجة الأولى وليس قيودا وأصفادا فقهية تضبط كل شاردة وواردة من حياتنا. ثم يتساءل المؤلف محتجا: أين هو الجوهر الروحاني العظيم لرسالة محمد؟ وهل يمكن أن نتواصل معها من جديد إن لم نخرج من إمبريالية الفقه والفتاوى السطحية والحشو وحشو الحشو والتراكمات؟ لقد آن الأوان للخروج من السلفية الانغلاقية والأصولية الشكلانية الفارغة. لقد آن الأوان للعودة إلى جوهر الإسلام المطموس منذ قرون وقرون. هذا غيض من فيض من أطروحات هذا الكتاب المدهش الذي قد تتفق معه كليا أو جزئيا، ولكن لا يمكن أن تنكر أنه يحرك المياه الراكدة ويطرح بعض الأسئلة الجوهرية التي لم تعد تحتمل التأجيل.

التعليـقـــات

عبد الله اغونان، «المملكة المغربية»، 2009/11/06

هذه محاولة فاشلة مسبقا. جوهر الاسلام يرفض الاتجاهين كليهما بالنص الصريح.

1-اتجاه ابن رشد في اقحام العقل البشري في الغيبيات وتاليه العقل والتعسف في تاويل المتشابهات. وقد رفض هذا الاتجاه في زمن ابن رشد وما زال مرفوضا.

2-اتجاه ابن عربي الموغل في (روحانية) تتجاوز الاديان الى دين الحب الذي بين التوحيد والوثنية والاديان كلها. لا رهبانية في الاسلام وفي نفس الوقت يحذرنا ان تكون من اخوان الشياطين. احباء الدين وتجديده لايمكن ان يكون ابدا بعناصر مضادة لجوهر الدين.

كاظم مصطفى، «الولايات المتحدة الامريكية»، 2009/11/06

اسلام اليوم ليس بأسلام الامس. قد تكون الصراعات السياسيه سببا ولكن السبب الرئيسي اليوم هو ازدياد عدد الذين سلكوا مهنة رجل الدين وازدياد عدد الفضائيات الدينيه التي تتصارع مع بعضها وكل منهم يقدم رجل الدين وكأنه احد نجوم السينما بعد ان يكون اجره بمئات الدولارات على الرغم من علمنا وعلمهم من ان لا كهانة في الدين الاسلامي فاختلاف الرؤى والعلم بينهم جعل المتلقي مشوش البال ولا يعرف لمن يستمع وهذا بدوره ادى الى عدم اهتمام الناس بما يعض به رجل الدين اليوم.

سالم عتيق، «الولايات المتحدة الامريكية»، 2009/11/06

النفس البشرية تبدأ بالإساءة الى ذاتها بعد أن تنال منها أناها المكتسبة. وبعد أن تحكم هذه سيطرتها على الساحة، تقوم بدورها بإحكام قبضتها على ذات أناها الطبيعية، على ضمير روحها، الذي يعمل كدرع وقائي للعقل والنفس البشرية، وغيابه يعني أنفلات هذه من عقالها، وبعدها هات يا جور ويا ظلم ويا عنف، الخ. من الشرور. هذا يعني أن (الإجتهاد العقلاني) على أهميته العظيمة، يأتي بالدرجة الثانية. فالأولوية يجب أن تكون (للإجتهاد الروحي)، فالوقاية كانت وستبقى خير من أي علاج.

خالد العباسي، «فرنسا ميتروبولتان»، 2009/11/06

طرح هذا المفكر الفرنسي هو طرح ساذج يخلق مشكلة من لا مشكلة! والأغرب من هذا هو موافقة كاتب المقالة على هذا الطرح! قل لي بربك أين هو التقوقع الإسلامي؟ فالمسلمون يشكلون أكبر الجاليات في العالم، وهذا أكبر دليل على اندماجهم مع الآخرين وعدم تقوقعهم. فهم أكبر الجاليات في أمريكا وكندا والصين وأستراليا وأوروبا وروسيا. وهم جزء أصيل من نهضة هذه الدول وتقدمها. فتجدهم يعملون في جميع المجالات العلمية والتقنية والطبية والفضائية ويرأسون منظمات عالمية كبرى ويحاضرون في أكبر وأعرق جامعات العالم علماً بأن نسبة كبيرة من هؤلاء المسلمين المغتربين هم من الرجال الملتزمين دينياً ومن النساء المحجبات. وتقول لي بعد كل هذا تقوقع؟ هذا هو حال المسلمين المشرف في الخارج. أما إذا نظرنا إلى حال المسلمين (المزري والمتخلف) في الداخل فأطلب منك وبإلحاح أن توجه انتقاداتك اللاذعة تلك إلى الحكومات (الليبرالية) التي تحكم العالم الإسلامي من شرقه إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

غربه والتي لديها المال والسلطة والإعلام والتعليم والقوة العسكرية والسطوة الأمنية. لماذا لم تستغل هذه الحكومات الليبرالية كل هذه السلطة والسطوة التي تمتلكها لإحداث نهضة علمية وحضارية؟

علي زين العابدين حرب، «لبنان»، 2009/11/06

أقدر كثيراً هذا المقال وسواه للدكتور هاشم صالح. وأوافقه إلى حد بعيد على أن الحل يكمن في العودة إلى العقلانية العربية وإلى الروحانية العربية. لكن تبقى نقطة هامة تضاف إلى هذين الحلين أو تكملهما، وهي إلى من سنرجع من العقلانيين والروحانيين؟ يشوب عددا من النصوص العقلانية القديمة والروحانية أيضاً روح من التمييز بين الفرق والمذاهب. لاحظ مثلاً الغزالي في المنقذ من الضلال، وابن عربي في الفتوحات المكية. المرجعية الحقيقية في رأيي تكمن في من لم تختلف الأمة على علمهم وتقاهم في آن معاً، وقد ترك لنا هؤلاء من درر الكلم، ما يجنبنا التطرف والتحجر. بما ورثوه عن الرسول الكريم من عمق العلم ووداعة الروح نسباً وسبباً. ويمكن في هذا الإطار مراجعة كتاب الرزينة لاني حول الإسلام المبكر.

This file was downloaded from QuranicThought.com